

المقاومة بكل شراستها لم تستطع ان تفقد حركة المقاومة ادواتها النضالية . صحيح كانت الوطأة شديدة أعانت تطوير الكفاح المسلح نحو الاشمل ، بيد ان هذه العملية بمراحلها المختلفة وبتباين الساحات التي جرت فؤقتها لم تتمكن من تحطيم وسائل النضال التي تمتلكها حركة المقاومة . هي **حاصرتها** فعلا ولكنها عجزت عن **أدائها** . والبرنامج هل هزم ؟ نفقر فوق التاريخ وحقائقه اذا زعمنا بأن هناك بديلا للبرنامج الذي طرحته حركة المقاومة والذي يجعل حرب الشعب طويلة المدى صلبه ومحوره مستندا الى نتائج تجارب الشعوب التي انتصرت بقواها البشرية المعبئة على تفوق الخصم التكنولوجي . حتى الدولة الديموقراطية التي يتعايش فيها الجميع بحقوق وواجبات متساوية ، وهي الهدف التتويجي للنضال المسلح ، قد وجدت استجابة حقيقية لدى بعض اليهود المخاطبين بهذا الهدف . والا فما تفسير ظاهرة « الجبهة الحمراء » في اسرائيل التي تضم عربا ويهودا ؟ وما تفسير تصريح الجنرال اهارون ياريف لصحيفة « يديموت احرونوت » الاسرائيلية ( ٧/٦ انظر « المحرر » ٧/٧ ) واعترافه بأن هناك بعض اليهود وعددا قليلا من الاسرائيليين يساعدون الفدائيين العرب ؟ ان كانت هذه الاستجابة تبدو على نطاق ضيق حتى الان فان صدق المقاومة مع شمار الدولة الديموقراطية وتصعيد نضالها كفيلا بتوسيع هذه الاستجابة .

ان حركة المقاومة لم تنهزم . غير ان ثمة وهمين انهزما في الواقع : الوهم الاول ان الثورة هي انتصارات دائمة ، هي خط لا ينكسر متصاعد للاملى غير قابل للتراجع احيانا والنكسات كذلك ، هي المنعة المطلقة التي يخترقها خارق . والوهم الثاني ان الثورة يجب ان يكون مرضيا عنها من الجميع ، « محبوبة » من الجميع ، مباركة مدللة وجاهية . وعندما اثبت الواقع ، الممارسة ، التجربة ، ان هذين مجرد وهمين وان الامور **يجب** الا تكون كذلك ( واذا كان الامر هكذا حقيقة فان ثمة خلا ما في الثورة ) وضع بعض ارباب هذين الوهمين انفسهم في **جو الهزيمة** الذي ارهبهم بالفعل وسحقهم بتجاهين متنافرين : اما الهروب الى الامام بالحكم بالاعدام على المقاومة « المهزومة » ومحاولة البحث عن شكل اخر من العمل ( مقولة الحزب مثلا ) متجاهلين ان المقاومة ما تزال واقعا ينبض عرقه بالدم ، واما النكوص وتبرير النكوص بحجج كالتى سلفت .

الشروط النضالي الطويل الملىء بالانتصارات الجزئية والمرحلية قد اقتنع الخصم بأن التسليم بشروط المنتصر هو الخيار الوحيد الذي لا مئاص منه . وفي هذه الحالة ، يعلنا التاريخ ان المنتصر يقدم اقصى ما لديه من شروط لينال بعد « تنازلات » يقبل بها افضل اوضاع تخدم اهدافه التي قاتل من اجلها وتلاءم مع المخطيات الموضوعية على جانبي الصراع . وفي حالة الهزيمة ، تحت وطأتها وسيطرة عناصرها الساحقة لكل امل واثق من طردها ، يجد المهزوم نفسه مضطرا للامتنثال لشروط المنتصر مع محاولات حثيثة ، مستتبطة ، لنيل اخفها وطأة في ضوء درجة الهزيمة ومقدار غداحتها والظروف الخاصة والعامة التي احاطت بها .

الى أي مدى ينطبق مثل هذا العرض على حركة المقاومة الفلسطينية وعلى أي من اطراف المعادلة تقف هذه الحركة ؟ في البداية علينا ان نثبت بديهية نراها وهي ان كل حل لا ينطبق باجمال على الاهداف المعلنة لحركة المقاومة هو **تنازل** بغض النظر عن مسيباته ودواعيه ، فقد يكون هناك « تنازل » المنتصر عن اقصى شروطه المعلنة لنيل اهدافه الحقيقية ، كما قد يكون في المقابل تنازل المهزوم المفروض عليه هذا التنازل . فهل تمثل حركة المقاومة أيا من هاتين الحالتين ؟ مما لا يحتاج الى اثبات ان حركة المقاومة لم تنتصر . هي بالفعل حققت كثيرا من الانجازات بيد ان انتصارها النهائي لا يزال شوطه المئامي مترامي المسافات . وبذلك فان أي تنازل تقدمه ( اقليم فلسطيني في ملكة عربية متحدة ، مفاوضات ، دولة فلسطينية الخ ) لن يكون « تنازل » المنتصر . في المقابل هل انهزمت حركة المقاومة لتقبل بتنازل المهزوم ؟ على الرغم من ان السؤال راعش الا ان مواجهته تضع كثيرا من الحقائق في حجبها الصحيح . ان الجواب « حركة المقاومة لم تهزم » ليس جوابا تعسفيا وانما هو مبني على استقراء مخطياتها نفسها : فحركة قادرة على حمل جراحها التي ائخذها ايار اللبناني وفقدان ثلاثة من قادتها في عملية واحدة ، والذهاب بهذه الجراح — في ظروف من الحصار النفسي والعسكري والسياسي رهيبه — الى عمق الارض المحتلة لتنفيذ بعض عملياتها ( راجع جدول عمليات المقاومة في هذا العدد ) ، حركت كهذه تثبت ان عطاءها الثوري يحل بذور استمراره وامكان تطويره نحو الارقى . ان عملية تعريب تصفية